سمات الشخصية المصرية
في الكتابات الكلاسيكية حتى قدوم الإسكندر الأكبر لمصر - دراسة مصدرية (*)

أ.د/ محمد السيد عبد الغني

أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية
كلية الآداب جامعة الإسكندرية

الملخص

ترجع العلاقات المصرية اليونانية إلى فترة تاريخية مبكرة جدًا منذ بداية عصر الأسرات المبكرة في مصر وتبلورت وتطورت بصورة كبيرة في ظل حكم الدولة الحديثة في مصر حول منتصف الألف الثانية ق.م. ورغم انقطاع تلك العلاقات لما يقرب من أربعة قرون بسبب ظروف الضعف والتفكك الذي عانت منه الأمتان، فقد عادت العلاقات بين الطرفين أقوى من ذي قبل بدءًا من الأسرة السادسة والعشرين المصرية (٥٢٥-٦٦٣ق.م) حتى الغزو الروماني لمصر وضمها كولاية رومانية عام ٣٠ ق.م.

وكان من نتائج هذه العلاقات المتجذرة الممتدة بين الطرفين تعرف اليونانيون على مصر وشعبها ودونوا انطباعاتهم ومعلوماتهم عنها في كتابات أدباءهم ومؤرخيهم ومفكريهم وجغرافييهم في الفترة موضوع البحث. وقد تباينت انطباعاتهم وأفكارهم ومعلوماتهم عن مصر وشعبها ما بين مدح وإشادة بحضارة مصر العريقة مثلما نجد في كتابات هوميروس وهيرودت وهيكاتيوس الأبديري وديودور الصقلى، وبين تحفظ ومحاولة انتقاص من قدر الريادة المصرية لحساب حضارة اليونان الصاعدة آنذاك كما نرى في كتابات أفلاطون وأرسطو واسترابون.

(*) **مجلة المؤرخ المصرى، عدد يوليو ٢٠٢٢، العدد الواحد والستون.**

The Characteristics of the Egyptian Identity in the Classical Writings from Homer to Strabo

The Egyptian-Greek relations date to a very early epoch since the early beginning of the Dynastic times in Egypt. Such relations developped and elaborated a great deal during the Modern kingdom in Egypt (around the mid-second millennium B.C). In spite of the rupture of the bilateral relations between the two nations for more than 4 centuries (from the 11 th to the 7 th centuries B.C.) owing to the weakness, aggression, and foreign occupation which both sides suffered, the relations between the two parties were retained once again in a direct and stronger nature than ever before. This resumption of relations started from the 26 th Egyptian Dynasty (663-525 B.C) till the Roman conquest and occupation of Egypt in 30 B.C.

One of the results of such extended and deep-rooted relations between the two nations was the immense knowledge which the Greeks acquired about Egypt and its population.

Hence, the Greek intellectuals: poets, historians, philosophers,geographers….etc. wrote down their inherited conceptions,impressions as well as their acquired ideas and knowledge about Egypt and the Egyptians. Such Classical Writings varied and diverged: some like Homer,Herodotus, Hecataeus of Abdera, and Diodorus Siculus praised and exalted the magnificence of the Egyptian civilization and its pioneer contributions, and also praised and eulogized the morals and manners of the Egyptians; others like Plato, Aristotle and Strabo admitted the ancient heritage and pioneer contributions of the Egyptians, but were nevertheless, somewhat cautious and reserved-or rather jealous-concerning the achievements of the Egyptians and tried to belittle or degrade some of them in favour of Athens which they (especially Plato) claimed to be more ancient and pioneering than Egypt!!!

تمتد العلاقات القديمة بين مصر وبلاد اليونان إلى عصر الأسرات الفرعونية المبكر، وتطورت حتى بلغت مدىً بعيدًا خلال عصر الدولة الحديثة في مصر لاسيما في عهد الدولة الحديثة في مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٣٥٠ق.م.)، وهو التوقيت الذي ازدهرت فيه الحضارة المينوية في جزيرة كريت وبداية صعود الحضارة الموكينية في شبه جزيرة البيلوبونيسوس في جنوب بلاد اليونان الأم [١].

هذه العلاقات الحضارية والتجارية الضاربة بجذورها والتي تبلورت بصورة جلية خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة (وخصوصًا في عهد الفرعون تحتمس الثالث ١٥٠١-١٤٤٧ق.م.) ظلت ماثلة في أذهان اليونانيين وانعكست في تراثهم الشفهي المتواتر ثم في تراثهم المكتوب بعد فترة طويلة من زمن هذه الأحداث التي وقعت في عصر البرونز في الألف الثانية قبل الميلاد. فعلى الرغم من تعرض بلاد اليونان لموجات متلاحقة من غزو القبائل الدورية على مدى ثلاثة قرون (من القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن التاسع ق.م.) وما ترتب عليها من تداعيات سلبية كبيرة ألحقت دمارًا كبيرًا ببلاد اليونان سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا فإن الذاكرة الشفهية اليونانية تمكنت -رغم هذه الظروف القاسية- من الحفاظ على ذكرى هذه العلاقات المتميزة (القديمة) مع مصر التي أَفُلَ نجمها لاحقًا بالتزامن مع الغزو الدوري لبلاد اليونان وتعرضت لفترات احتلال متعاقبة على مدى الأسرات الأجنبية من الثانية والعشرين إلى الخامسة والعشرين (٩٤٥-٦٦٣ق.م.)[٢].

وبعد أن أفاق الإغريق نسبيًا من صدمة الغزو الدوري وتداعياته -مع بدايات القرن الثامن ق.م.- بدأوا يستعيدون تراثهم القديم من عصر البرونز في الألفية الثانية ق.م.؛ ولاسيما حربهم الضروس ضد مدينة طروادة التي كانت متحكمة في مدخل مضيق الدردنيل المؤدي إلى بحر مرمرة ومنه إلى البحر الأسود. وصاغوا أحداث ذلك الصراع في تراث شفهي فولكلوري متواتر حرره -

في أوائل القرن الثامن ق.م.- شاعر أحاط به قدر كبير من الجدل في جوانب عديدة، وهو الشاعر هوميروس الذي تُنسب إليه الملحمتان الخالدتان الإلياذة والأوديسية. ورغم أن الملحمتين تتناولان -كأقدم أدب وتراث يوناني مكتوب- أمورًا يونانية صرفة تتعلق بحرب طروادة وتداعياتها، إلا أنهما تشيران -ولاسيما في ملحمة الأوديسية- إلى انطباعات عن مصر وأهلها(٣) وطبائع سكانها في عدد من المواضع.

هذا هو بيت القصيد في إشارتنا إلى ملحمتي الإلياذة والأوديسية في مستهل هذا البحث. فعلى الرغم من أن مصر لم ترد إلا لِمامًا في الإلياذة ولمرة واحدة فقط إلا أن هذه الإشارة العابرة في سياق مغاير قد أعطت انطباعًا مبكرًا وذا دلالة قوية عن مدى قوة مصر ومنعتها وثراءها في عصر البرونز في الألف الثانية ق.م. (وعلى الأرجح في عصر الأسرة الثامنة عشرة وأبرز ملوكها تحتمس الثالث)، وهو انطباع تجاوز حدود مصر ويبدو أنه ترسخ في أذهان الإغريق المعاصرين واللاحقين. تتمثل هذه الإشارة إلى مصر في الإلياذة في موقف غاضب من جانب أخيليوس -أشهر أبطال الإغريق في حرب طروادة- تجاه قائد الحملة اليونانية على طروادة أجاممنون لأن الأخير استولى بطريقة فظة على المحظية الأثيرة لأخيليوس. حينها اجتاح أخيليوس غضب عارم ورفض أية وساطة أو تعويض ليخفف من حنقه على أجاممنون ونفث لهيب غضبه قائلًا: "كلا ... حتى لو أعطاني عشرة أضعاف أو عشرين ضعف ما يملك، بل وحتى لو أضاف إليها كل ثروات أورخومينوس أو ثروات طيبة المصرية التي تتكدس في منازلها أعظم الكنوز والثروات، طيبة ذات البوابات المائة التي تتسع كل منها لمرور مائتي محارب بخيولهم وعرباتهم"(٤) هذه الإشارة العابرة عن طيبة المصرية بثرواتها المكدسة في أقدم الأعمال الأدبية اليونانية تركت صدىً واسعًا عبر الزمان والمكان في نفوس الإغريق حتى لنجد في القرن الأول ق.م. من يردد هذه المقولة -ممثلًا في ديودور الصقلي- عن

ثراء مصر واكتفاء أهلها ذاتيًا –هم وحيواناتهم المستأنسة– بما تنتجه أرضهم الخصبة من محصول وفير بفضل مناخها الملائم المعتدل وطبيعة نيلها المعطاء الذي يمد أهل مصر بأسباب الحياة ويزودهم بالغذاء بغير عناء كما يُطعم كافة الكائنات الحية هناك(٥). ويبدو أن هذه العبارة المفتاحية المبكرة بدلالاتها الموحية عن مدى غنى وثراء مصر قد أثارت شهية وأسالت لعاب الطامحين والطامعين من الإغريق وغيرهم في ثروات مصر، وهو ما تجسد لاحقًا في ظل حكم الأسرة السادسة والعشرين المصرية (عصر النهضة أو العصر الصاوي حين استردت مصر استقلالها بعد فترات من الاحتلال الأجنبي، وقد امتد حكم تلك الأسرة من ٦٦٣–٥٢٥ق.م.) حين توافد الآلاف من الجند المرتزقة والتجار الإغريق على مصر ونعموا بخيراتها على حساب أهل البلاد؛ وهو الأمر الذي استمر بعد ذلك في ظل الحكم الفارسي لمصر بدعوى مساندة المصريين للتخلص من حكم الفرس، ثم بشكل أوسع وبصفة رسمية تحت حكم الإسكندر والأسرة الحاكمة البطلمية.

نعود ثانية إلى ملحمتي هوميروس –هذه المرة إلى الأوديسية الغنية بالإشارات والمواقف ذات الدلالة عن شيم أهل مصر– إذ يرد بالأوديسية نفس الحديث بنفس الصيغة عن ثروات طيبة المصرية المكدسة في منازلها. يأتي هذا الحديث عن ثراء طيبة في الأوديسية في سياق حديث مينيلاوس وزوجته هيلين الجميلة –بعد استردادها من طروادة بعد سقوط المدينة بعد الحصار المُضني الطويل وعودتها إلى موطنها مرورًا بمصر في رحلة العودة– عن كرم ضيافة أحد نبلاء طيبة ويُدعى بوليبوس هو وزوجته اليكاندري مع هيلين وزوجها. في هذا الموضع من الملحمة يُعدد مينيلاوس وهيلين الهدايا الثمينة التي تلقياها من ذلك النبيل الطيبي وزوجته. تتمثل هذه الهدايا المذكورة في سلة من الفضة وحوضين من أحواض الاستحمام من الفضة وإنائين من ذوي القوائم

الثلاثية وعشرة تالنتات ذهبية، فضلًا عن مغزل من الذهب وسلة ذات عجلات وسلة من الفضة ذات حواشي مُذهَّبة (٦).

كل هذا الكم من الهدايا الفاخرة القيِّمة جاء من أحد نبلاء طيبة الذي لم يُشر إليه في النص على أنه ملك أو أمير، بل أُشير إليه بصفته "أحد قاطني طيبة"، أي أنه أحد أثرياء أو نبلاء طيبة لا أكثر! فما بالنا بثروات العائلة الملكية أو كبار الكهنة. **إن هذا الكرم السفيه** الذي يتجلى في هذا المقطع من الأوديسية تجاه غرباء –حتى وإن كانوا من علية القوم– **مؤشر لصفة مرذولة عند المصريين** أطمعت فيهم الكثيرين من الأجانب الشرهين للثروات، لاسيما مع الصيت الذائع عن ثروات مصر كما أسلفنا. إن هذا السخاء المصري لم يتجه نحو ملوك وأمراء فقط، بل ونحو قراصنة أشرار قدموا لنهب ثروات مصر واقترفوا جرمًا كبيرًا بحق أهلها! إذ يروي أوديسيوس –متقمصًا دور قرصان كريتي مزعوم– أنه محارب كريتي الأصل ممن شاركوا في حملة الإغريق ضد طروادة، وأنه بعد نهاية الحرب وتدمير طروادة يممَّ –مع مجموعة من رفاقه الكريتيين– صوب مصر على متن تسع سفن بغرض القرصنة واللصوصية ووصلوا عند أحد مصبات النيل (أيجوبتوس) في اليوم الخامس. ويروي هذا الكريتي المزعوم (بلسان أوديسيوس) قصة تلك المغامرة المزعومة على الشاطئ المصري. فيذكر أن هؤلاء المغامرين الكريتيين قد هبطوا إلى الشاطئ وانطلقوا وعاثوا في الأرض فسادًا ونهبًا وسلبًا وذبحوا الآمنين من الرجال واختطفوا النساء والأطفال. ولكن حين تعالت صيحات الضحايا من الأهالي الذين بُوغتوا بالهجوم خفَّ الكثيرون إلى نجدتهم، وسرعان ما امتلأ السهل بجند مصريين من المشاة والعربات والأسلحة وأحاطوا بالمعتدين الكريتيين من كل اتجاه فقتلوا وذبحوا الكثيرين وأوقعوا الباقين في الأسر وأرغموهم على خدمتهم (٧).

إلى هنا والأمور تسير في مجراها الطبيعي المتوقع من اعتداء القراصنة على الآمنين –في موجة من موجات شعوب البحر على الساحل المصري–

ومن صد الجيش المصري لهؤلاء المعتدين وإنزال الهزيمة بهم، وهو ما حدث في عهد الفرعون مرنبتاح (١٢١٥-١٢٢٥ق.م.) من الأسرة التاسعة عشرة، والفرعون رمسيس الثالث (١١٦٧-١١٩٨ق.م.) من الأسرة العشرين، وما يُلمحَّ إليه هذا العمل الملحمي الأدبي في الأوديسية.

أما يستوقف الانتباه بعذ ذلك فهو أن القرصان الكريتي المزعوم (الذي ينطق بلسانه أوديسيوس) كان من بين الناجين من المذبحة التي نفذَّها الجيش المصري في رفاقه من القراصنة الغزاة، ويواصل روايته للحدث بقوله أنه "ألقى أسلحته جانبًا وأسرع نحو خيول عربة الملك المصري المنتصر وجثا على ركبتيه وقبَّل ركبتي الملك -بعد أن كاد الحراس يفتكون به لولا أن صدَّهم الملك وحال بينهم وبينه- فعفا عنه الملك وأجلسه إلى جواره في عربته وأخذه إلى قصره بينما كانت دموع الأجنبي منهمرةً! ويواصل سرده بأنه أمضى سبع سنوات في مصر وجمع ثروة طائلة من المصريين الذين أغدقوا عليه المنح والعطايا"(٨).

إن هذه الرواية في ملحمة الأوديسية -رغم كونها عملًا أدبيًا وليس تأريخًا لوقائع بعينها حدثت بحرفيتها- تضم بين دفتيها مضامين عامة كانت من سمات تلك الفترة وتُعد قرينة يُعوَّلُ عليها في العموم باعتبار الأدب مرآةً للمجتمع. إن من أبرز ما تدلل عليه هذه القطعة الأدبية/ التاريخية عن سمات المصريين هو **غنى وثراء بلادهم** -الذي صار أمرًا مستقرًا في أذهان الإغريق كما أسلفنا- مما جعل بلدهم مطمعًا للقراصنة الذين يحلمون بالثراء. والدلالة الثانية هي أن المصريين **شعب مسالم لا يتوقع الهجمات الغادرة**، ولذلك بُوغت الآمنون في حقولهم على الشاطئ المصري بهذا العدوان الغاشم فسقط الرجال منهم صرعى وتم أسر النساء والأطفال. ولكن حين ارتفعت صيحات الاستغاثة من الضحايا سرعان ما خفَّ الملك المصري بقواته من المشاة والفرسان بأسلحتهم ذات الوميض اللامع وأحاطوا بالقراصنة المعتدين من كل جانب

وأسقطوهم بين قتيل وأسير وجعلوا الأسرى خدمًا لهم. هذا يعني ببساطة أن المصريين **رغم كونهم شعبًا مسالمًا** إلا أنهم **يهبّون فورًا للدفاع عن الأرض والعرض ويلقنون الأعداء درسًا قاسيًا** كما حدث مع أولئك القراصنة. أما تسامح الملك المصري مع ذلك القرصان وعطفه عليه لدرجة أن جعله يرافقه في عربته الحربية متأثرًا بالدموع الزائفة لذلك المجرم الذي رافق الملك إلى قصره رغم محاولة الحراس المصريين الفتك به أول الأمر، فهو يعبِّر تعبيرًا بليغًا عن مدى **تسامح المصريين بطبعهم –وعلى كافة مستوياتهم– حتى مع من أساء إليهم وألحق بهم الضُرَّ!!**، ليس فقط التسامح، بل و**نسيان الإساءة والأذى وإكرام اللئيم!** هذا ما توحي به تلك الرواية لذلك القرصان الكريتي (المزعوم) حتى وإن برَّر سلوك الملك المصري بأنه **نابع من خشية الآلهة** حين يقول نصًا في الاقتباس الأخير: "لقد كان يخشى غضب زيوس –رب الغرباء– الذي تُغضبه الأفعال الشريرة على وجه الخصوص"

Διὸς δ' ὠπίζετο μῆνιν ξεινίου, ὅς τε μάλιστα νεμεσσᾶται κακὰ ἔργα. (Od.14.283-84).

وهو ما يعطي الانطباع بـ**تقوى المصريين وخشيتهم من الانتهاكات للمحرمات الدينية** (على مر العصور)، وإن كان هذا الموقف يخرج عن هذا السياق لأن عقاب من أجرم بحق المصريين ليس انتهاكًا لحرمة الآلهة والعقيدة وأن التسامح مع مثل هؤلاء وإكرامهم يُعد **تزيدًا وإفراطًا في حُسن النية!** وإذا كانت "بضدها تتميز الأشياء" فإن رواية هذا القرصان الكريتي المزعوم تتواصل –في نفس الفقرة– لتلقي الضوء على هذا المعنى بصورة مكثفة. فبعد أن مكث هذا القرصان في مصر سبع سنوات وتمتع بكرم مليكها وأهلها وكوَّن ثروة طائلة من المصريين يستطرد قائلًا: "ولكن في العام الثامن أتى (إلى مصر) رجل من فينيقيا بارع في المكر والخديعة ووغد وطماع وألحق بالناس أذىً وأضرارًا كبيرة. وقد أفلح هذا الرجل الداهية في اقناعي بالذهاب معه وأخذني

معه حتى وصلنا إلى فينيقيا حيث منزله وأملاكه. وهناك مكثت معه عامًا كاملًا، ومع مرور الأيام وحلول الحول أرسلني في نهاية العام على متن سفينة بحرية متجهة إلى ليبيا وأخبرني كذبًا طيلة الوقت بأنني سأقوم بنقل بضاعة معه، ولكن الحقيقة أنه كان ينوي بيعي لقاء ثمن باهظ"[٩].

من الواضح إذًا –من خلال تلك الرؤية الملحمية أعلاه في الأوديسية– أن انطباع إغريق عصر هوميروس وإغريق العصر الموكيني من قبلهم عن طباع وسمات جيرانهم في شرق البحر المتوسط من مصريين وفينيقيين كان على النحو الآتي: أن **المصريين** يتسمون بالكرم والسماحة وإن كانوا لا يترددون في الدفاع عن وطنهم بكل ما أوتوا من قوة إذا ما تعرضوا لأي عدوان؛ وإن كانوا سريعًا ما يتسامحون ويصفحون، بل ويبالغون في إكرام الأجانب والغرباء حتى من لحق بهم الأذى على أيديهم. أما انطباعهم عن **الفينيقيين** –من خلال الفقرة المذكورة أعلاه– فهو أنهم **تجار دهاة واسعو الحيلة والمكر** في الوصول لمبتغاهم في الربح، وتصورهم هذه الفقرة على أنهم **أشد دهاءً وحيلةً من الإغريق**[١٠].

وتؤكد الحوادث التاريخية اللاحقة بعد عصر هوميروس أن **انطباع مصر الغنية الكريمة المتسامحة** الذي ساقته الملاحم الهوميرية قد ترسخ في أذهان الإغريق بعد ذلك وشجعهم على تكرار تجربة القرصنة على السواحل المصرية –رغم ما حلَّ بهم من قبل في السياق الملحمي والتاريخي. لقد كانت بلاد الإغريق محدودة الموارد –بحكم جغرافيتها الوعرة– وبالتالي طاردةً لسكانها. ها هي تجربة القرصنة على سواحل مصر تتكرر في أواخر الحكم النوبي والآشوري لمصر قبل منتصف القرن السابع ق.م.، واستغلها لصالحه أحد الملوك المحليين المصريين لينفرد بحكم البلاد. ذلك الملك المحلي هو أبسماتيك الأول مؤسس الأسرة (المصرية) السادسة والعشرين (٦٦٣–٥٢٥ق.م.) بعد الخلاص من فترات الاحتلال الليبي والنوبي والآشوري. إذ استعان ذلك الملك

المصري المحلي بهؤلاء (القراصنة) الإغريق الذين وصله نبأهم –وهو لاجئ في أحراش الدلتا المصرية– في صراعه ضد خصومه الملوك المحليين الأحد عشر[١١] وفي حماية حدود مصر من كل الجهات، وحوَّلهم من قراصنة إلى جند مرتزقة في خدمته بعد أن كسب مودتهم ووعدهم بأن يُغدق عليهم منحه السخية عند انضمامهم إليه[١٢]. وأمام هذا الإغراء استجاب هؤلاء القراصنة الأيونيون والكاريون مرحبين بهذا العرض وكانوا عونًا لهذا الملك المحلي وحققوا له أهدافه في اعتلاء عرش مصر منفردًا وتأسيس الأسرة السادسة والعشرين وعاصمتها سايس (صا الحجر في مركز بسيون بالغربية حاليًا) عام ٦٦٣ق.م. وقد وفىَّ الملك بعهوده السخية لهم فأقطعهم أماكن للسكنى تُسمى المعسكرات على جانبي الفرع البيلوزي للنيل في شرق الدلتا وأوفى بكل ما وعد به من أجور ومكافآت [١٣]، وخصصَّ لهم فتيانًا مصريين لكي يعلموهم اليونانية ليصبحوا تراجمة لهم.

والآن نأتي لجانب آخر من هذه الرواية التاريخية عند هيرودوت يتصل بجانب آخر من سمات الشخصية المصرية يتمثل في **إحساس المصريين بكرامتهم وعدم قبولهم الإهانة**، حتى وإن كان ذلك في صورة مقاومة سلبية. فحين بالغ الملك أبسماتيك الأول في الاحتفاء بهؤلاء المرتزقة الأجانب وتوطدت علاقته بهم وثقته فيهم وجعل لهم الأولوية في الاهتمام والامتيازات[١٤] شعر رفاقه المصريون بالإهانة والتجاهل.

وقد كان رد فعل الجند المصريين من أهل البلاد على هذا التهميش لهم من جانب الملك أبسماتيك قويًا وصفعةً على وجه الملك الذي كان محابيًا للمرتزقة الإغريق. إذ كان هناك –حسب رواية هيرودوت ومن بعده ديودور الصقلي– مائتان وأربعون ألفًا من الجند المصريين المرابطين على الحدود مع أثيوبيا لمدة ثلاثة أعوام دون أن ينالوا أي قسط من الراحة في نوبات الخدمة. وكان رد فعلهم على صنيع الملك أن تمردوا على مليكهم وهجروا وطنهم

وانضموا لخدمة الملك الأثيوبي. وتمضي رواية هيرودوت وديودور إلى القول بأن الملك أبسماتيك قد حاول استرضاء هؤلاء الجند المصريين الساخطين وإثناءهم عن هجر الوطن والرحيل واستحلفهم وذكرَّهم بمعابد الوطن وبزوجاتهم وأولادهم أن يعدلوا عن خطوتهم، ولكن هيهات إذ صمموا على تنفيذ ما اعتزموه. ويُروى أن أحدهم قد رفع ملابسه وأشار إلى عضوه التناسلي صائحًا: "ما دام هذا موجودًا فإن بوسعنا اتخاذ زوجات وإنجاب أبناء في أي مكان"(١٥).

إن رد فعل الجند المصريين في جنوب البلاد على الحط من شأنهم لصالح الأجانب في هذا الموقف لهو أبلغ دليل أنهم **لا يرتضون الدنيَّة ويمكن أن يفعلوا أي شيء يفوق التصور للزود عن كرامتهم.** فمن غير المعقول تصور أن يُقدم مصريون (في العصور القديمة) على هجر وطنهم طوعًا رغم ما هو معروف ومؤكد عنهم من حبهم للوطن وحنينهم الدائم للعودة إليه –إن اضطروا إلى الغربة– وهو ما يشهد عليه الأدب المصري القديم (١٦).

ومن الطريف أن نجد هيرودوت في ختام هذه الفقرة السابقة يشير إلى سمة من سمات أولئك المصريين الذين استقروا في إثيوبيا وهي **الاعتدال ولين الجانب.** إذ يذكر أن هؤلاء الجند المصريين قد وصلوا إلى إثيوبيا وسلَّموا أنفسهم لملك تلك البلاد الذي قدَّم لهم هدية مقابل ما فعلوه إذ جعلهم ينتزعون أراضي بعض الإثيوبيين المناوئين له ويحتلون تلك الأراضي. ثم يُردف بعد ذلك قائلًا أن "هؤلاء المصريين قد اختلطوا واندمجوا مع الإثيوبيين **فصار الإثيوبيون أكثر اعتدالًا في طباعهم بعد أن تعلموا عادات المصريين**":

Τούτων δὲ ἐσοικισθέντων ἐς τοὺς Αἰθίοπας, ἡμερώτεροι γεγόνασι Αἰθίοπες, ἤθεα μαθόντες αἰγύπτια.

هذه كانت رواية هيرودوت لهذا الحدث التاريخي، ثم يأتي ديودور الصقلي من بعده بنحو أربعة قرون ليروي نفس الحدث بنفس المحتوى تقريبًا ولكن مع قدر من التفصيل وبعض الاختلافات الطفيفة في السرد التاريخي(١٧).

فبعد أن أورد ما قدمه الملك للمرتزقة الإغريق من هدايا قيِّمة فضلًا عن رواتبهم المتفق عليها ومنحهم المنطقة المسماة ب "المعسكرات" على الفرع البيلوزي للنيل ليسكنوها، وإسناده لهم –قبل أي أحد آخر– إدارة مملكته أورد في نهاية الجملة القشة التي قصمت ظهر البعير والتي أثارت استياءً عارمًا في صفوف جنده المصريين. تمثلت هذه القشة الأخيرة في أن الملك أثناء حملةً له على سوريا أسبغ على المرتزقة الإغريق شرفًا وتكريمًا أكبر حين جعلهم في ميمنة جيشه في المعركة وحطَّ من شأن القوات الوطنية المصرية حين وضعهم في ميسرة فيلقه مما أثار غضبهم من هذا التهميش وجعلهم –وكان عددهم أكثر من مائتي ألف– يتمردون على الملك وينطلقون نحو إثيوبيا وقد صمموا أن يكون لهم وطن خاص بهم(١٨). وتمضي رواية ديودور عن هذا الحدث الجلل على نفس شاكلة ما رواه هيرودوت من استعطاف الملك لهم لكي يثنيهم عن قرارهم مستحلفًا إياهم بمعابد آلهتهم وبوطنهم وزوجاتهم وأبناءهم، ولكنه يصور رد فعلهم (الجماعي) الرافض لنداء الملك بصورة أقوى وأشد عزمًا. إذ يذكر "أنهم جميعًا صاحوا صارخين وصكوا دروعهم برماحهم معلنين أنهم طالما كانت لديهم أسلحتهم في أيديهم فمن اليسير أن يجدوا مَوَاطن أخرى. ورفعوا ملابسهم مُشيرين إلى أعضاءهم التناسلية وقالوا أنهم طالما امتلكوا تلك الأعضاء فلن يعوزهم مطلقًا زوجات ولا أطفال"(١٩).

إن رد الفعل الجماعي هذا من قِبل الجند المصريين على توسل الملك الذي أهان الجندية المصرية يدل على مدى حنقهم وإحساسهم بالإهانة جميعًا، كما يدل على مدى ثقتهم بأنفسهم وسلاحهم وقدرتهم على التكيف مع الظروف السيئة والتغلب عليها طالما امتلكوا أسلحتهم الحربية وطاقتهم وكفاءتهم الجسدية. إن إعطاء الفعل صبغة الجماعية فيما يتعلق برفع الملابس وإبراز أهمية أعضاءهم التناسلية –لا الصبغة الفردية التي أشار بها هيرودوت إلى الحدث– تدل على أن رد الفعل من جانب هذه الحشود من الجند المصريين

كان مُنسقًا ومُرتبًا سلفًا من هؤلاء الجند ولم يكن مصادفة أو حالة فردية كما أوحت بذلك رواية هيرودوت. ولعل ما يؤكد هذا الترجيح ما ورد عند هيرودوت ذاته الذي ذكر نصًا في روايته عن الحدث أن "هؤلاء (يقصد الجند المصريين) قد تدبروا أمرهم بالتشاور وصدر عنهم رأي جماعي بالإجماع بهجر أبسماتيك والتوجه إلى إثيوبيا". (أُنظر الحاشية رقم ١٥ أعلاه)

ومن بين سمات الشخصية المصرية التي ينوّه عنها هيرودوت **تَديُن المصريين وطهارتهم** من حيث النظافة الشخصية إذ يذكر أن المصريين قد حرَّموا –بوازع تدينهم– جماع النساء في المعابد، كما حرَّموا دخول المعابد بعد مجامعة النساء إلا بعد الاغتسال (٢٠). ويُردف أن معظم الشعوب الأخرى تسمح بذلك ما عدا المصريين والإغريق الذين يبدو أنهم نقلوا تلك العادة عن المصريين (٢١). كما ينوه في أكثر من موضع من كتابه الثاني عن مصر إلى **الطابع المحافظ للمصريين** الذين يتمسكون بتشريعات ونظم وعادات أسلافهم ويحافظون عليها دون زيادة أو نقصان، بل ويأنفون تمامًا من استخدام أو مجاراة نظم وعادات الإغريق أو غيرهم من الشعوب(٢٢). ومن الأمور الغريبة التي يوردها أرسطو –مثلًا– عن **المصريين** القول بأنهم **جبناء!** ومعياره في ذلك لون بشرتهم الداكن، إذ يُطلِق حكمًا عامًا بأن ذوي البشرة الداكنة للغاية جبناء وهو ما ينطبق على المصريين والإثيوبيين!! كما أن ذوي البشرة الناصعة البياض جبناء كذلك وهو ما نراه في النساء، أما أصحاب البشرة المتوسطة بين هذا وذاك فإنهم شجعان"(٢٣)!!. وغني عن البيان أن هذا معيار عنصري يفتقر إلى الموضوعية والدقة، فضلًا عن أن المصريين ليسوا من ذوي البشرة السوداء الداكنة بل من ذوي البشرة المتوسطة ولا يتساوون –من حيث لون البشرة– مع الإثيوبيين. ربما كان هذا الحكم الجائر على المصريين من جانب أرسطو لأنهم كانوا منذ بداية تاريخهم يحيون حياة مدنية متحضرة πολιτικῶς καὶ .... ἡμέρως ἐξ ἀρχῆς ζῶσι διατάξειςوهو ما جعل مصر بلدًا مسالمًا

منذ نشأتها في أغلب الأوقات Ἦν μὲν οὖν ἡ Αἴγυπτος εἰρηνικὴ τὸ πλέον ἐξ ἀρχῆς هذه مقتطفات مما أورده استرابون عن مصر، وهو ما جعله يؤكد على أن المصريين أنفسهم ليسوا بمحاربين رغم كثرتهم: οὐ γάρ εἰσιν οὔτ' αὐτοὶ Αἰγύπτιοι πολεμισταί, καίπερ ὄντες παμπληθεῖς[٢٤]. إلا أن هذا الحكم من جانب استرابون ربما كان محكومًا بالظرف الذي جاء فيه استرابون إلى مصر مرافقًا لصديقه أيليوس جالوس ثاني الولاة الرومان في مصر. ففي ذلك التوقيت كان أول الولاة الرومان على مصر كورنيليوس جالوس (٢٧-٢٩ق.م.) قد قمع بقسوة بالغة -بإيعاز من الإمبراطور أغسطس على الأرجح- تمردًا كبيرًا في الإقليم الطيبي ضد جباة الضرائب الرومان وتفاخر بذلك في أحد النقوش بأنه دمرَّ سبع مدن في الإقليم الطيبي[٢٥]. ومن بعد ذلك لم يعد الرومان بحاجة لنشر أعداد كبيرة من فرقهم وقواتهم في أرجاء مصر وأن ثلاثة كتائب فقط كانت كافية لحماية المنطقة الجنوبية.

وحين ينتقل أرسطو إلى وصف بعض الصفات الوراثية الفسيولوجية عند المصريين يصفهم **بالخصوبة وكثرة الإنجاب** وأن النساء في مصر تتسمّن بخصوبة عالية وتنجبن الكثير من الأطفال بدون عناء وأن مواليدهم -حتى المبتسرين والمشوهين منهم- يبقون على قيد الحياة في حين لا يُكتب البقاء إلا لقلة من أقرانهم اليونانيين. كما يذكر أن نساء مصر تشتهرن بإنجاب التوائم (اثنين أو ثلاثة أو أربعة) بنسبة أكبر مما يحدث في أمم أخرى[٢٦].

وإذا ما تحولنا من السمات الشخصية للمصريين إلى الحديث عن **نظام الحكم** في مصر القديمة **ونظام العدالة** والقضاء فيها فلن نجد خيرًا من ديودور الصقلي (نقلًا عن هيكاتايوس الأبديري) الذي قدَّم صورة ناصعة عن نظام الحكم الملكي في مصر القديمة مغايرةً للصورة النمطية السلبية التقليدية عن ملوك مصر والتي كان هيرودوت من أوائل من روجوا لها في حديثه عن بُناة

الأهرام (خصوصًا خوفو وخفرع من ملوك الأسرة الرابعة) واستبدادهم وقسوتهم مع المصريين وتسخير كل طاقاتهم لمآربهم الشخصية (Herodotus 2.124-139). إن ديودور الصقلي يذكر –خلافًا لهيرودوت– أن **حياة حكام مصر** "لم تكن كحياة غيرهم من الملوك المستبدين، وأن **كل أفعالهم كانت محكومة بقواعد سنتها قوانين** ليس في الأمور العامة فقط، بل في حياتهم الشخصية ومعيشتهم اليومية وطعامهم"(٢٧) ويعزو ديودور الفضل في هذا الانضباط الملكي إلى **الحاشية المستنيرة** التي كانت في معيتهم، إذ "لم يكن يقوم على خدمة الملوك أحد من العبيد مولدين أو مشترين، وإنما كانوا جميعًا من **أبناء أشهر رجال الكهنوت** ممن **تجاوزوا سن العشرين** ونالوا **أفضل قسط من التعليم** بين أقرانهم"(٢٨) أما عن عدل أولئك الملوك فقد كان موضع إشادة بالغة من ديودور الذي يذكر أن الملك في مصر كان **شديد الالتزام بنصوص القوانين** في تصريف شؤون البلاد والفصل في المنازعات ولم يكن يُنزل العقاب بأحد إنطلاقًا من نوازع شخصية من إهانة أو هوىً أو لأي سبب كان"(٢٩).

وحين ينتقل إلى الحديث عن منظومة العدالة والنظام القضائي في مصر القديمة يمتدح ديودور ذلك النظام المحكم من خلال مبررات قوية تتمثل في: السبب الأول **اهتمام الدولة بالقضاء وإجزال العطاء للقضاة** من مرتبات تكفل لهم حياةً كريمةً تُغنيهم عن الانحراف بالرشوة أو المجاملة ويذكر في هذا الصدد مبرر حكام مصر في ذلك وهو أنه "إذا فقدت المحاكم هيبتها لدى الخارجين على القانون من خلال الرشوة أو المحاباة تفشت الفوضى في الحياة العامة"(٣٠). والسبب الثاني لهذا الإعجاب بالمنظومة القضائية المصرية هو **انتقاء القضاة من بين أفضل الشخصيات من أشهر وأفضل المدن المصرية القديمة** وهي هيليوبوليس وطيبة ومنف بواقع عشرة قضاة من كل مدينة من المدن الثلاثة، ثم يقوم هؤلاء القضاة الثلاثون بانتخاب أفضلهم كرئيس للقضاة، وترسل مدينته قاضيًا آخر ليحل محله (لإكمال الثلاثين)"(٣١) أما السبب الثالث

فيتمثل في **اعتماد المحاكم المصرية للمرافعات المكتوبة -لا الشفهية-** من جانب أطراف أي دعوى قضائية. وبعد دراسة فاحصة لمرافعات الخصمين يتفق القضاة الثلاثون فيما بينهم على الحكم ويضع رئيس القضاة خاتمه على أوراق مرافعة الطرف الذي صدر الحكم لصالحه(٣٢). ويُبرز ديودور رؤية المصريين حول تفضيلهم للمرافعات المكتوبة على نظيرتها الشفهية بأن "**الدعاوي المكتوبة تجعل المحاكمة دقيقة حيث تكون الحقائق المجردة هي محل النظر**"(٣٣). أما عيب المرافعات الشفهية -كما يراه المصريون ويبرزه ديودور- فهي أنها تلقي بظلال كثيفة على عدالة القضية المعروضة ... إذ كثيرًا ما تخدع براعة المحامين رجالًا من أفاضل القضاة بالخديعة أو فصاحة البيان أو إثارة نوازع الرحمة فيهم"(٣٤) وأشار ديودور إلى أن كافة القوانين المصرية القديمة كانت مدَّونةً في ثمان مجلدات كانت توضع أمام القضاة"(٣٥) وينتقي ديودور من هذه القوانين المصرية الصارمة/ العادلة ما أعجبه منها كنماذج للعقوبات المدنية أو الجنائية في أمور الحياة العامة أو الخاصة والتي لا يتسع المجال هنا لذكرها تفصيلًا، وتكفي الإحالة إلى موضعها من مؤلف ديودور الصقلي(٣٦).

نأتي الآن إلى ملمح آخر من ملامح الشخصية المصرية في علاقاتها بالأجانب. فأمام كرم المصريين وتسامحهم -حكامًا ومحكومين- مع الأجانب والذي نوَّهنا عنه أعلاه نجد على الجانب الآخر -في مواقف عديدة- **الانتهازية والغدر والخيانة من قِبل هؤلاء الأجانب للمصريين** الذين أحسنوا إليهم. ويكفي أن ندلل على ذلك من خلال عدة أمثلة تمثل منعطفًا محوريًا في التاريخ المصري من الأسرة السادسة والعشرين وخلال فترة الحكم الفارسي لمصر وما تخللها من ثورات المصريين. فبعد أن ارتمى ملوك الأسرة السادسة والعشرين -خصوصًا أبسماتيك الأول (٦١٠-٦٦٣ق.م.) وأمازيس (أحمس الثاني) (٥٢٦-٥٦٩ق.م.) -بعد تخلص الأخير من الملك الوطني أبريس (٥٨٨-٥٧٠ق.م.) الذي حاول التقليل من تغلغل المرتزقة الإغريق في شؤون

مصر وفشل[٣٧]- في أحضان الإغريق وأوكلوا إليهم الإمساك بزمام الأمور في مصر إذا بهؤلاء المرتزقة الإغريق يسهمون إسهامًا مباشرًا في وقوع مصر في قبضة الاحتلال الفارسي عام ٥٢٥ق.م. فقد بالغ أحمس الثاني في الارتماء في أحضان جنده المرتزقة الإغريق وجعلهم حراسًا شخصيين له ونقل مقر إقامتهم إلى منف، ومنح التجار الإغريق امتيازات هائلة في نقراطيس، وأقام علاقات وطيدة مع بعض الحكام والطغاة الإغريق ولاسيما بوليكراتيس طاغية ساموس وكرويسوس ملك ليديا، وقدَّم الهدايا والمنح والعطايا للمعابد اليونانية في العديد من مدن بلاد اليونان الأصلية (Herod. II.178-182.). ورغم كل هذا الإسراف في الكرم السفيه مع الإغريق طيلة حكمه الممتد فإن أقرب حلفائه من الإغريق -بوليكراتيس طاغية ساموس- كان أول من غدر به حين أزمع الفرس غزو مصر بقيادة قمبيز بن قورش ملك الفرس (٥٢١-٥٢٩ق.م.) فتعاون مع الفرس ضده قبيل وفاته -التي ربما كانت حسرةً على خيانة حليفه- وتخلى عنه، كما غدر به أحد كبار قادة المرتزقة الإغريق في الجيش المصري ويُدعى فانيس الهليكارناسي الذي هرب إلى بلاط الملك قمبيز وكان الدليل والمرشد للجيش الفارسي في غزوه لمصر![٣٨] وهناك مثال آخر على غدر وخيانة المرتزقة الإغريق للمصريين لصالح الفرس: فبعد نحو ستين عامًا (٤٠٤-٣٤٣ق.م.) من استقلال مصر عن الحكم الفارسي بعد ثورتهم الثالثة عاود الفرس الكرة تحت حكم أرتاكسركسيس الثالث واستطاعوا إعادة احتلال مصر والانتصار على أخر ملوكها نكتانيبو الثاني (٣٤٣-٣٦٠ق.م.). ورغم الاستعدادات المكثفة لذلك الملك المصري وجيشه للتصدي للعدوان الفارسي المتوقع فقد لقي هزيمة على يد الفرس كان السبب الرئيسي فيها خيانة حليفه آنذاك تينيس ملك صيدا -الذي خان مدينته صيدا وحليفه الملك المصري نكتانيبو الثاني- وكذلك قائد المرتزقة الإغريق منتور الرودي الذي كان قد أرسله الملك المصري كدعم عسكري -مع أربعة آلاف من المرتزقة الإغريق-

لملك صيدا السالف الذكر في محاولته -أول الأمر- الخلاص من الحكم الفارسي. لقد كانت خيانة هاتين الشخصيتين للملك نكتانيبو هي السبب الأساسي في هزيمته وفراره في نهاية المطاف من مصر وسقوط الأسرة الثلاثين الفرعونية [٣٩].

نأتي الآن إلى سمة أخرى من سمات المصريين وردت في المصادر الكلاسيكية من هوميروس فصاعدًا؛ ألا وهي **تميزهم وتفوقهم في الحكمة وفي علوم شتى** فبدأها **بالطب وطرق العلاج** وغنى أرضها بالعقاقير العلاجية والأعشاب الطبية. وقد ورد في الأوديسية ما يلي: ".... فأرض مصر مانحة الحبوب تنتج أكبر كمية من العقاقير والأعشاب الطبية، منها أدوية شافية كثيرة إذا مُزجت بغيرها، وكثير منها ضار ومؤذي. وكل امرئ (في مصر) طبيب ولديه من الحكمة والمعرفة ما يفوق كافة البشر ...."[٤٠] إن تفوق مصر والمصريين في مجال الطب أمر مؤكد من قبل ملاحم هوميروس بكثير وتبرزه العديد من البرديات والقراطيس الطبية المصرية القديمة من العصور الفرعونية. إن برديات إدوين سميث وبرلين وايبرس وهيرست ولندن وكاهون وشيستر بيتي وليدن تؤكد بكل ثقة وجدارة البراعة والخبرة الموسوعية للمصريين في شتى فروع الطب والجراحة وتبرز ريادتهم[٤١].

ومن بعد هوميروس يؤكد هيرودوت -في القرن الخامس ق.م.- على هذا المعنى فيذكر عن المصريين: "وينقسم التطبيب عندهم إلى فروع عديدة: فلكل مرض طبيب متخصص فيه، وبلادهم تعج بالأطباء، بعضهم متخصص في العيون، وبعضهم في الرأس، وبعضهم في الأسنان، وبعضهم في الأمعاء، وبعضهم في الأمراض الخفية"[٤٢] وارتباطًا بهذا التقدم والتميز الطبي الكبير للمصريين ينتقل هيرودوت إلى مجال متصل وهو **التحنيط (الذي ينُمُّ عن دراية كبيرة بعلم الكيمياء)** فيشيد ببراعة المصريين الفائقة في تحنيط جثث موتاهم، ويشير إلى أن جودة التحنيط لديهم كانت تنقسم إلى ثلاث فئات: فاخر ومتوسط

ومتواضع حسب الحالة المادية والوضع الاجتماعي للمتوفي وأهله، ويتناول بالتفصيل مراحل وعمليات وآليات ومواد التحنيط في كل فئة[٤٣].

وبخلاف الطب والكيمياء (مُمثَّلةً في إتقان تحنيط الجثث) يشيد هيرودوت –وغيره من الكتاب الكلاسكيين[٤٤]– **ببراعة وإعجاز المصريين في العمارة الضخمة** متمثلةً في أهرامات الجيزة[٤٥]. ويعزو أفلاطون –في محاورة فايدروس– إلى المصريين –وخصوصًا إلههم تحوت– **فضل اختراع الأرقام والحساب والهندسة والفلك والضامة وألعاب الزهر، وفوق ذلك الكتابة**"[٤٦] ويذكر أرسطو أن **علوم الرياضيات قد نشأت في مصر**[٤٧]، كما يورد أن **الإغريق قد استقوا معلوماتهم عن الكثير من النجوم والأجرام السماوية في علم الفلك عن المصريين والبابليين**[٤٨].

ومن بعد أفلاطون وأرسطو وإقرارهما بريادة مصر وتفوقها في العديد من العلوم والمعارف –رغم محاولتهما التقليل من شأن تلك المنجزات المصرية بمبررات غير موضوعية في معظمها، وهو أمر سنتناوله لاحقًا– يأتي مؤرخون إغريق لاحقون ليؤكدوا ويجددوا الإشادة بتميز المصريين في عدد من مجالات العلم والحكمة. ها هو ديودور الصقلي في القرن الأول ق.م. (نقلًا عن هيكاتايوس الأبديري في أوائل القرن الثالث ق.م.) يشيد **بريادة المصريين في الحكمة وببراعتهم في علم الفلك والنجوم**[٤٩]. كما يُثني على **الطب المصري العريق والنظام الطبي** المحكم لديهم **والطب الوقائي** المتمثل في حرص المصريين على استخدام الحقن الشرجية والصوم (الحمية الغذائية) والمقيئات يوميًا أو كل ثلاثة أو أربعة أيام لإدراكهم أن قدرًا كبيرًا من الطعام الذين يتناولونه زائد عن حاجة الجسم ويتسبب في الأمراض (I.82-1-2). ويذكر أن الأطباء المصريين كانوا يمارسون ويصرفون العلاج تبعًا لقواعد مكتوبة دوَّنها كثير من مشاهير أطباءهم القدامى، وأن الأطباء كانوا يتقاضون رواتبهم من خزانة الدولة (I.82.3). ويُبرز ديودور في موضع آخر من كتابه (I.96) أبرز

الشخصيات اليونانية من أدباء ومشرعين وعلماء وفلاسفة ممن زاروا مصر القديمة ونهلوا من معارفها وحكمتها وعلومها، ولعل أبرزهم دايدالوس وهوميروس وليكورجوس وسولون وأفلاطون وفيثاغورس وديموكريتوس. ويُبدي إعجابه البالغ بعبقرية المصريين في العمارة والتشييد ودقة الصنعة في حديثه التفصيلي عن أهرامات الجيزة الثلاثة (I.63-65) ثم يأتي استرابون في الربع الأخير من القرن الأول ق.م. مرافقًا لثاني الولاة الرومان على مصر (أيليوس جالوس عام ٢٦/ ٢٥ق.م.) ويخصص جزءًا من كتابه السابع عشر من مؤلفه "الجغرافيا" للحديث الحصري عن مصر وأهلها مع بداية الفتح الروماني. مع استطرادات كثيرة عن مصر القديمة في هذا الكتاب وغيره. ها هو استرابون يواصل الحديث عن اختراع المصريين للهندسة ونقل الإغريق هذا العلم عنهم، وإن زعم أن الإغريق قد نقلوا علوم الفلك والحساب عن الفينيقيين (Strabo 16.2.24).

على الرغم من هذه الاعترافات المتتالية من الكتاب الإغريق من هوميروس وحتى استرابون بريادة وتميز المصريين في الكثير من العلوم والمعارف إلا أن هناك إحساسًا ينبعث من بين السطور في كتاباتهم –لاسيما عند أفلاطون وأرسطو– **بالغيرة والحسد على هذه العراقة والريادة المصرية** ومحاولة حثيثة للإقلال من شأنها **والحط من قدرها بوسائل شتى وسبل عديدة وذرائع واهية** وغير منطقية. فعلى الرغم من إشادة هيرودوت ببراعة وعبقرية وإعجاز المصريين في تصميم وتنفيذ العمارة الضخمة مُمثلةً في أهرامات الجيزة إلا أنه ينتقص من قيمة هذا العمل الرائع بذم بناة الأهرام –خصوصًا خوفو وخفرع– بزعم أنهم كانوا طغاة مستبدين، كما أشار هيرودت من قبل.[٥٠] وكذلك يرى أرسطو لاحقًا أن الهدف من تشييد هذه الصروح الإهدائية في مصر واليونان كأهرامات مصر ومعبد زيوس في أوليمبيا الذي شَيَّده الطاغية بيزستراتوس وأولاده وغيرها ليس لها جميعًا سوى هدف واحد من جانب من

أقاموها وهو إلهاء وإفقار المحكومين(٥١) كما ينتقد أرسطو كذلك إحدى معجزات علم الكيمياء المصري القديم متمثلةً في تحنيط جثث الموتى بالقول: "عندما يحين الموت تصبح الجثة عديمة الفائدة، أما أولئك الذين يستفيدون من الجثث فإنهم يحافظون عليها ... وهي أمور تبدو متناقضة"(٥٢) إن أرسطو يتغاضى هنا تمامًا عن العقائد المصرية القديمة الراسخة عن البعث والخلود بعد الموت وضرورة الحفاظ –من وجهة نظر المصريين القدماء– على الجثة ليوم الحساب! قد يقول قائل "إن مثل هذا النقد من جانب هؤلاء الكُتّاب لبعض العادات والتقاليد والنظم المصرية لا يُعبِّر سوى عن اختلاف في المفاهيم والثقافة المجتمعية التي تربى عليها الجانبان! لكن الذم والقدح غير المبرر وغير المنطقي يأتي –مثلًا– حين يَصمُ مفكر مثل أفلاطون حكمة المصريين – والفينيقيين– بأنها نوع من **الاحتيال** πανουργίαι **وضيق الأفق** ἀνελευθερίαι **والجشع** φιλοχρηματία وأنها يجب أن تنضبط من خلال قوانين وتشريعات أخرى.

ταῦτα δὴ πάντα, ἐὰν μὲν ἄλλοις νόμοις τε καὶ ἐπιτηδεύμασιν .... ἱκανῶς τε καὶ ὀνησίμως κτήσεσθαι

ويكمل أنه "ما لم يتحقق ذلك فلسوف يتحول الأمر –في غفلة منك– إلى ما يُسمى بالاحتيال بدلًا من الحكمة مثلما هو الحال عند المصريين والفينيقيين وأمم أخرى كثيرة ممن نراهم الآن في ظل ضيق أفقهم في نظمهم الأخرى وممارستهم وأملاكهم"(٥٣). ومن الافتراءات الفجة من جانب أفلاطون بحق مصر **ومحاولة انتزاع الريادة والعراقة منها –قسرًا– لصالح مدينته أثينا** زعمه بأن أثينا أقدم من مصر بألف عام، وأن عمر الحضارة المصرية –كما هو مدوَّن في السجلات المقدسة المصرية في زمنه، حسب زعمه– هو ثمانية آلاف عام وأن الربة الراعية لكل من أثينا ومصر (أثينة عند الإغريق ومقابلها نيث عند المصريين) قد تولت أمر رعاية وتدريب الأمتين وبدأت بمدينة أثينا قبل ألف عام من مصر أي قبل تسعة آلاف عام!!(٥٤) الغريب في الأمر في هذه

الوصلة الدعائية[٥٥] الفجة أن يضع أفلاطون هذه المزاعم التي لا تستند إلى أساس على لسان أحد كبار الكهنة المصريين، بل ويضع على لسانه أن هذا الأمر مدوَّن في السجلات المقدسة المصرية. إن ما يكشف زيف هذه الدعاية أن أفلاطون نفسه يؤكد في محاورة القوانين أن عمر الحضارة المصرية هو عشرة آلاف عام. وهو يذكر تلك المعلومة بثبات ويقين حين يتحدث عن الطابع المحافظ للأسلوب الفني المصري في الرسم والموسيقى والرقص إذ يذكر نصًا ما يلي: "لو أنك أمعنت النظر هناك فلسوف تكتشف أن الأمور المصورة أو المنقوشة هناك (في مصر) منذ عشرة آلاف عام –وإنني أعني هذا الرقم فعلًا دون مبالغة، عشرة آلاف عام– فلن تجدها أفضل ولا أسوأ مثقال ذرة من الانتاج الفني اليوم ...."[٥٦].

ومن سخافات الكُتَّاب الكلاسكيين التي تنضح غيرة وحسدًا من تفوق وريادة المصريين في علوم الرياضيات مثلًا أن عالمًا ومفكرًا يونانيًا كبيرًا بحجم أرسطو يعزو هذا الأمر إلى أنه كان من قبيل تزجية الكهنة المصريين لأوقات الفراغ التي كانوا ينعمون بها!!![٥٧] ويعتبرها من النوع الثالث من المخترعات والعلوم التي يمارسها أناس لديهم متسع من وقت الفراغ: ἐν τούτοις τοῖς τόποις οὗ πρῶτον ἐσχόλασαν·

هكذا نرى بوضوح أنه مع إقرار واعتراف الكتاب الكلاسكيين السالفي الذكر بنبوغ وتميز وريادة المصريين في الكثير من العلوم والمعارف إلا أن الغيرة من هذه العبقرية والريادة جعلتهم يعمدون إلى نقد المصريين في بعض ممارستهم الحياتية التي انتجت بعضًا من إنجازاتهم الرائدة كبناء الأهرامات وتحنيط جثث موتاهم دون الأخذ في الاعتبار نظم وعادات وعبادات المصريين الراسخة الجذور، أو تنفيثًا عن غيرة وحسد مكبوت في صدورهم من هذه الريادة المتمكنة وبحثًا عن ذرائع وهية للانتقاص منها.

الهوامش:

(1) Pendelbury, J.D.S. (1930), Aegyptiaca. A Catalogue of Egyptian Objects in the Aegean area; Kantor, M.J. (1974), The Aegean and the Orient in the Second Millenium B.C.; Vercoutte, J. (1956), L'Egypte et le monde Egean prehellenique, Étude critique des sources égyptiennes (du debut de la XVIIIe à la fin de la XIXe Dynastie).

(٢) محمد السيد عبدالغني (٢٠١٨)، مصر القديمة من منظور يوناني بين المفاهيم والممارسات (الجزء الأول)، الإسكندرية، ص ص ١٩-٢١.

(٣) محمد السيد عبدالغني (٢٠٠٦)، "مصر والمصريون عند هوميروس"، ضمن أعمال الحلقة البحثية المنعقدة في المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ٢٩مايو – ١يونيو ٢٠٠٤ تحت عنوان (الإلياذة عبر العصور) بمناسبة الذكرى المئوية لترجمة سليمان البستاني للإلياذة وصدور ترجمة جديدة عن اليونانية مباشرةً، تحرير: أحمد عثمان، ص ص ٢٣-٤٠.

(4) Homer, Iliad IX, ll.381-384:

ούδ' ὅσα Θήβας Αίγυπτίας, ὅθι πλεῖστα δόμοις έν κτήματα κεῖται, > αἵ θ' ἑκατόμπυλοί είσι, διηκόσιοι δ' άν' ἑκάστας άνέρες έξοιχνεῦσι σὺν ἵπποισιν καὶ ὄχεσφιν·

(5) Diodours Siculus I.10.1:

Φασὶ τοίνυν Αίγύπτιοι κατὰ τὴν έξ άρχῆς τῶν ὅλων γένεσιν πρώτους άνθρώπους γενέσθαι κατὰ τὴν Αἴγυπτον διά τε τὴν εύκρασίαν τῆς χώρας καὶ διὰ τὴν φύσιν τοῦ Νείλου. τοῦτον γὰρ πολύγονον ὅντα καὶ τὰς τροφὰς αύτοφυεῖς παρεχόμενον ῥᾳδίως έκτρέφειν τὰ ζωογονηθέντα·

وعن ثراء طيبة المصرية الأسطوري في أيامها الخوالي في عصر الفراعنة العظام أُنظر كذلك: ديودور الصقلي (I.45.4-7) حيث يقتبس ما أورده هوميروس في الإلياذة أعلاه (حاشية ٤) ويعلق على هذا الاقتباس.

(6) Homer, Odyssey 4.124-132:

.... Ἀλκίππη δὲ τάπητα φέρεν μαλακοῦ έρίοιο, Φυλὼ δ' άργύρεον τάλαρον φέρε, τόν οἱ ἔδωκεν Ἀλκάνδρη, Πολύβοιο δάμαρ, ὃς ἔναι' ένὶ Θήβῃς Αίγυπτίῃσ', ὅθι πλεῖστα δόμοισ' έν κτήματα κεῖται·

ὃς Μενελάῳ δῶκε δύ' άργυρέας άσαμίνθους, δοιοὺς δὲ τρίποδας, δέκα δὲ χρυσοῖο τάλαντα. χωρὶς δ' αὖθ' Ἑλένῃ ἄλοχος πόρε κάλλιμα δῶρα· χρυσῆν τ' ήλακάτην τάλαρόν θ' ὑπόκυκλον ὅπασσεν άργύρεον, χρυσῷ δ' έπὶ χείλεα κεκράαντο.

(7) The Odyssey 14.256-272:

πεμπταῖοι δ' Αἴγυπτον έϋρρείτην ἱκόμεσθα, στῆσα δ' έν Αίγύπτῳ ποταμῷ νέας άμφιελίσσας....οἱ δ'ὕβρει εἴξαντες, έπισπόμενοι μένεϊ σφῷ, αἶψα μάλ' Αίγυπτίων άνδρῶν περικαλλέας άγροὺς πόρθεον, έκ δὲ γυναῖκας ἄγον καὶ νήπια τέκνα, αύτούς τ' ἔκτεινον· τάχα δ' ές πόλιν ἵκετ' άϋτή. οἱ δὲ βοῆς

ἀΐοντες ἅμ' ἠόϊ φαινομένηφι ἦλθον· πλῆτο δὲ πᾶν πεδίον πεζῶν τε καὶ ἵππων χαλκοῦ τε στεροπῆς....περὶ γὰρ κακὰ πάντοθεν ἔστη. ἔνθ' ἡμέων πολλοὺς μὲν ἀπέκτανον ὀξέϊ χαλκῷ, τοὺς δ' ἄναγον ζωούς, σφίσιν ἐργάζεσθαι ἀνάγκῃ.

(8) Ibid. 14.276-286:

αὐτίκ' ἀπὸ κρατὸς κυνέην εὔτυκτον ἔθηκα καὶ σάκος ὤμοιϊν, δόρυ δ' ἔκβαλον ἔκτοσε χειρός· αὐτὰρ ἐγὼ βασιλῆος ἐναντίον ἤλυθον ἵππων καὶ κύσα γούναθ' ἑλών· ὁ δ' ἐρύσατο καί μ' ἐλέησεν, ἐς δίφρον δέ μ' ἕσας ἄγεν οἴκαδε δάκρυ χέοντα. ἦ μέν μοι μάλα πολλοὶ ἐπήϊσσον μελίῃσιν, ἱέμενοι κτεῖναι· δὴ γὰρ κεχολώατο λίην· ἀλλ' ἀπὸ κεῖνος ἔρυκε, Διὸς δ' ὠπίζετο μῆνιν ξεινίου, ὅς τε μάλιστα νεμεσσᾶται κακὰ ἔργα. ἔνθα μὲν ἑπτάετες μένον αὐτόθι, πολλὰ δ' ἄγειρα χρήματ' ἀν' Αἰγυπτίους ἄνδρας· δίδοσαν γὰρ ἅπαντες.

(9) Ibid.14.287-297:

ἀλλ' ὅτε δὴ ὄγδοόν μοι ἐπιπλόμενον ἔτος ἦλθε, δὴ τότε Φοῖνιξ ἦλθεν ἀνὴρ ἀπατήλια εἰδώς, τρώκτης, ὃς δὴ πολλὰ κάκ' ἀνθρώπους ἐεόργει· ὅς μ' ἄγε παρπεπιθὼν ᾗσι φρεσίν, ὄφρ' ἱκόμεσθα Φοινίκην, ὅθι τοῦ γε δόμοι καὶ κτήματ' ἔκειτο. ἔνθα παρ' αὐτῷ μεῖνα τελεσφόρον εἰς ἐνιαυτόν. ἀλλ' ὅτε δὴ μῆνές τε καὶ ἡμέραι ἐξετελεῦντο ἂψ περιτελλομένου ἔτεος καὶ ἐπήλυθον ὧραι, ἐς Λιβύην μ' ἐπὶ νηὸς ἐφέσσατο ποντοπόροιο, ψεύδεα βουλεύσας, ἵνα οἱ σὺν φόρτον ἄγοιμι, κεῖθι δέ μ' ὡς περάσειε καὶ ἄσπετον ὦνον ἕλοιτο.

(١٠) محمد السيد عبدالغني (٢٠٠٦)، ص ص٣٤-٣٥.

(11) Herodotus 2.151.

(12) Ibid.2.152:

Χρόνου δὲ οὐ πολλοῦ διελθόντος ἀναγκαίη κατέλαβε Ἴωνάς τε καὶ Κᾶρας ἄνδρας κατὰ ληίην ἐκπλώσαντας ἀπενειχθῆναι ἐς Αἴγυπτον, ἐκβάντας δὲ ἐς γῆν καὶ ὁπλισθέντας χαλκῷ ἀγγέλλει τῶν τις Αἰγυπτίων ἐς τὰ ἕλεα ἀπικόμενος τῷ Ψαμμητίχῳ....φίλα τε τοῖσι Ἴωσι καὶ Καρσὶ ποιέεται καί σφεας μεγάλα ὑπισχνεόμενος πείθει μετ' ἑωυτοῦ γενέσθαι·

(13) Ibid.2.154:

Τούτους τε δή σφι τοὺς χώρους διδοῖ καὶ τἆλλα τὰ ὑπέσχετο πάντα ἀπέδωκε.

(14) Ibid.2.30.

(15) Ibid:

Ἀπέστησαν δὲ αὗται τέσσερες καὶ εἴκοσι μυριάδες Αἰγυπτίων τῶν μαχίμων ἐς τοὺς Αἰθίοπας τούτους δι' αἰτίην τοιήνδε....Τοὺς ὦν δὴ Αἰγυπτίους τρία ἔτεα φρουρήσαντας ἀπέλυε οὐδεὶς τῆς φρουρῆς· οἱ δὲ βουλευσάμενοι καὶ κοινῷ λόγῳ χρησάμενοι πάντες ἀπὸ τοῦ Ψαμμητίχου ἀποστάντες ἤισαν ἐς Αἰθιοπίην. Ψαμμήτιχος δὲ πυθόμενος ἐδίωκε· ὡς δὲ κατέλαβε, ἐδέετο πολλὰ λέγων καί σφεας θεοὺς πατρωίους ἀπολιπεῖν οὐκ ἔα καὶ τέκνα καὶ γυναῖκας·

١٦() محمد السيد عبدالغني (٢٠٠٦)، "أبريس وأمازيس عند هيرودوت"، في كتاب المؤتمر التاسع للاتحاد العام للآثاريين العرب – القاهرة، ص ص٣٤٦-٣٦٢، ص ص٣٤٦-

.٣٤٨

(17) Diodorus Siculus I.67

(18) Ibid.I.67.3:

στρατεύσαντος δ' εἰς τὴν Συρίαν αὐτοῦ καὶ κατὰ τὰς παρατάξεις τοὺς μὲν μισθοφόρους προτιμῶντος καὶ τάττοντος εἰς τὰ δεξιὰ μέρη, τοὺς δ' ἐγχωρίους ἀτιμότερον ἄγοντος καὶ τὸν εὐώνυμον τόπον ἀπονέμοντος τῆς φάλαγγος, οἱ μὲν Αἰγύπτιοι διὰ τὴν ὕβριν παροξυνθέντες καὶ γενόμενοι τὸ πλῆθος πλείους τῶν εἴκοσι μυριάδων ἀπέστησαν καὶ προῆγον ἐπ' Αἰθιοπίας, κεκρικότες ἰδίαν χώραν ἑαυτοῖς κατακτᾶσθαι·

(19) Ibid.67.6:

οἱ δ' ἅμα πάντες ἀναβοήσαντες καὶ τοῖς κοντοῖς τὰς ἀσπίδας πατάξαντες ἔφασαν, ἕως ἂν κυριεύωσι τῶν ὅπλων, ῥᾳδίως εὑρήσειν πατρίδας· ἀναστειλάμενοι δὲ τοὺς χιτῶνας καὶ τὰ γεννητικὰ μέρη τοῦ σώματος δείξαντες οὔτε γυναικῶν οὔτε τέκνων ἀπορήσειν ἔφασαν ταῦτ' ἔχοντες.

(20) Herodotus II.64:

Καὶ τὸ μὴ μίσγεσθαι γυναιξὶ ἐν ἱροῖσι μηδὲ ἀλούτους ἀπὸ γυναικῶν ἐς ἱρὰ ἐσιέναι οὗτοί εἰσι οἱ πρῶτοι θρῃσκεύσαντες.

(21) Ibid:

Οἱ μὲν γὰρ ἄλλοι σχεδὸν πάντες ἄνθρωποι, πλὴν Αἰγυπτίων καὶ Ἑλλήνων, μίσγονται ἐν ἱροῖσι καὶ ἀπὸ γυναικῶν ἀνιστάμενοι ἄλουτοι ἐσέρχονται ἐς ἱρόν, νομίζοντες ἀνθρώπους εἶναι κατά περ τὰ ἄλλα κτήνεα.

Ibid.2.51:

Ταῦτα μέν νυν καὶ ἄλλα πρὸς τούτοισι, τὰ ἐγὼ φράσω, Ἕλληνες ἀπ' Αἰγυπτίων νενομίκασι·

(22) Ibid.2.79:

Πατρίοισι δὲ χρεώμενοι νόμοισι ἄλλον οὐδένα ἐπικτῶνται.

Ibid.2.91:

Ἑλληνικοῖσι δὲ νομαίοισι φεύγουσι χρᾶσθαι, τὸ δὲ σύμπαν εἰπεῖν, μηδ' ἄλλων [μηδαμὰ] μηδαμῶν ἀνθρώπων νομαίοισι.

(23) Aristotle, Physiognomonica: 812a, ll.12-15.

Αἰγυπτίους, Αἰθίοπας. οἱ δὲ λευκοὶ ἄγαν δειλοί· ἀναφέρεται ἐπὶ τὰς γυναῖκας. τὸ δὲ πρὸς ἀνδρείαν 15συντελοῦν χρῶμα μέσον δεῖ τούτων εἶναι. οἱ ξανθοὶ εὔψυχοι· ἀναφέρεται ἐπὶ τοὺς λέοντας.

(24) Strabo 17.1.53.

(25) OGIS.654: see also Strabo, loc. cit; Dio Cassius 53.23.5.

(26) Aristotle, Historia Animalium, 584b, ll.7-13, 29-32.

(27) Diodorus Siculus I.70.1:

Πρῶτον μὲν τοίνυν οἱ βασιλεῖς αὐτῶν βίον εἶχον οὐχ ὅμοιον τοῖς ἄλλοις τοῖς ἐν μοναρχικαῖς ἐξουσίαις οὖσι καὶ πάντα πράττουσι κατὰ τὴν ἑαυτῶν προαίρεσιν ἀνυπευθύνως, ἀλλ' ἦν ἅπαντα τεταγμένα νόμων ἐπιταγαῖς, οὐ μόνον τὰ περὶ τοὺς χρηματισμούς, ἀλλὰ καὶ τὰ περὶ τὴν καθ' ἡμέραν διαγωγὴν καὶ δίαιταν.

(28) Ibid.70.2:

περὶ μὲν γὰρ τὴν θεραπείαν αὐτῶν οὐδεὶς ἦν οὔτ' ἀργυρώνητος οὔτ' οἰκογενὴς

δοῦλος, ἀλλὰ τῶν ἐπιφανεστάτων ἱερέων υἱοὶ πάντες, ὑπὲρ εἴκοσι μὲν ἔτη γεγονότες, πεπαιδευμένοι δὲ κάλλιστα τῶν ὁμοεθνῶν.

(29) Ibid.I.71-1:

.... πολλῷ θαυμασιώτερον ἦν τὸ μήτε δικάζειν μήτε χρηματίζειν τὸ τυχὸν αὐτοῖς ἐξεῖναι, μηδὲ τιμωρήσασθαι μηδένα δι' ὕβριν ἢ διὰ θυμὸν ἤ τινα ἄλλην αἰτίαν ἄδικον.

(30) Ibid.I.75.2:

εἰ δ' ὁ φόβος ὁ γινόμενος ἐκ τῶν κρίσεων τοῖς παρανομοῦσιν ἀνατρέποιτο χρήμασιν ἢ χάρισιν, ἐσομένην ἑώρων τοῦ κοινοῦ βίου σύγχυσιν.

(31) Ibid.I.75.3-4:

διόπερ ἐκ τῶν ἐπιφανεστάτων πόλεων τοὺς ἀρίστους ἄνδρας ἀποδεικνύντες δικαστὰς κοινοὺς οὐκ ἀπετύγχανον τῆς προαιρέσεως. ἐξ Ἡλίου γὰρ πόλεως καὶ Θηβῶν καὶ Μέμφεως δέκα δικαστὰς ἐξ ἑκάστης προέκρινον·.... ἐπεὶ δὲ συνέλθοιεν οἱ τριάκοντα, ἐπέκρινον ἐξ ἑαυτῶν ἕνα τὸν ἄριστον, καὶ τοῦτον μὲν ἀρχιδικαστὴν καθίσταντο, εἰς δὲ τὸ τούτου τόπον ἀπέστελλεν ἡ πόλις ἕτερον δικαστήν.

(32) Ibid.75.7:

ἀμφοτέρων δὲ τῶν ἀντιδίκων τὰ γεγραμμένα δὶς τοῖς δικασταῖς δόντων, τὸ τηνικαῦτ' ἔδει τοὺς μὲν τριάκοντα τὰς γνώμας ἐν ἀλλήλοις ἀποφαίνεσθαι, τὸν ἀρχιδικαστὴν δὲ τὸ ζῴδιον τῆς ἀληθείας προστίθεσθαι τῇ ἑτέρᾳ τῶν ἀμφισβητήσεων.

(33) Ibid.I.76.2:

ἐκ δὲ τοῦ γράφειν τὰ δίκαια τοὺς ἀντιδίκους ᾤοντο τὰς κρίσεις ἀκριβεῖς ἔσεσθαι, γυμνῶν τῶν πραγμάτων θεωρουμένων.

(34) Ibid.I.76.1-2:

.... τοὺς Αἰγυπτίους, νομίζοντας ἐκ μὲν τοῦ λέγειν τοὺς συνηγόρους πολλὰ τοῖς δικαίοις ἐπισκοτήσειν· καὶ γὰρ τὰς τέχνας τῶν ῥητόρων καὶ τὴν τῆς ὑποκρίσεως γοητείαν καὶ τὰ τῶν κινδυνευόντων δάκρυα πολλοὺς προτρέπεσθαι παρορᾶν τὸ τῶν νόμων ἀπότομον καὶ τὴν τῆς ἀληθείας ἀκρίβειαν· θεωρεῖσθαι γοῦν τοὺς ἐπαινουμένους ἐν τῷ κρίνειν πολλάκις ἢ δι' ἀπάτην ἢ διὰ ψυχαγωγίαν ἢ διὰ τὸ πρὸς τὸν ἔλεον πάθος συνεκφερομένους τῇ δυνάμει τῶν συνηγορούντων·

(35) Ibid.I.75.6:

τῶν δὲ πάντων νόμων ἐν βιβλίοις ὀκτὼ γεγραμμένων, καὶ τούτων παρακειμένων τοῖς δικασταῖς.

(36) Ibid.I.77and78.

ملحوظة مهمة: معظم تراجم نص ديودور الصقلي في هذا البحث مأخوذة عن ترجمة وهيب كامل للجزء الأول من كتابه السابع عشر: ديودور الصقلي في مصر – نقله من اليونانية وهيب كامل – دار المعارف بالقاهرة – طبعة ٢٠١٣.

٣٧() محمد السيد عبدالغني (٢٠٠٦)، "أبريس وأمازيس عند هيرودوت"

(38) Herodotus III.44:

Πέμψας δὲ κήρυκα λάθρῃ Σαμίων Πολυκράτης παρὰ Καμβύσην τὸν Κύρου

συλλέγοντα στρατὸν ἐπ' Αἴγυπτον, ἐδεήθη ὅκως ἂν καὶ παρ' ἑωυτὸν πέμψας ἐς Σάμον δέοιτο στρατοῦ. Καμβύσης δὲ ἀκούσας τούτων προθύμως ἔπεμπε ἐς Σάμον δεησόμενος Πολυκράτεος στρατὸν ναυτικὸν ἅμα πέμψαι ἑωυτῷ ἐπ' Αἴγυπτον.

Herodotus III.4:

Οὗτος ὁ Φάνης μεμφόμενός κού τι Ἀμάσι ἐκδιδρήσκει πλοίῳ ἐξ Αἰγύπτου, βουλόμενος Καμβύσῃ ἐλθεῖν ἐς λόγους. Οἷα δὲ ἐόντα αὐτὸν ἐν τοῖσι ἐπικούροισι λόγου οὐ σμικροῦ ἐπιστάμενόν τε τὰ περὶ Αἴγυπτον ἀτρεκέστατα, …. κτλ.

لقد كان فانيس هذا يُضمر لأمازيس وفرَّ من مصر على متن سفينة رغبةً منه في الذهاب إلى قمبيز والحديث إليه. ولما لم يكن وضعه هينًا بين الجند الأجانب وكان على علم بأدق التفاصيل عن مصر (فقد كان أمازيس حريصًا على القبض عليه وأرسل خلفه سفينة ثلاثية المجاديف عليها أكثر خصيانه ثقةً ليتعقبه) ... أكمل بقية الفقرة ... إلخ.

(39) Diodorus Siculus 16.41-51:

Τέννης δ' ὁ τῆς Σιδῶνος βασιλεὺς προσελάβετο παρ' Αἰγυπτίων στρατιώτας μισθοφόρους Ἕλληνας τετρακισχιλίους, ὧν ἦν στρατηγὸς Μέντωρ ὁ Ῥόδιος. (16.42.2).

ὁ δὲ τῆς Σιδῶνος δυνάστης Τέννης πυνθανόμενος τὸ μέγεθος τῆς τῶν Περσῶν δυνάμεως …… τὴν σωτηρίαν ἰδίᾳ πορίζειν ἔκρινεν. διόπερ τῶν ἑαυτοῦ θεραπόντων τὸν πιστότατον …. ἐξέπεμψε πρὸς τὸν Ἀρταξέρξην ἐπαγγελλόμενος αὐτῷ τὴν μὲν Σιδῶνα παραδώσειν, τὴν δ' Αἴγυπτον συνεκπολεμήσειν, …. κτλ. (16.43.1-2).

ἐπὶ δὲ τούτων Ἀρταξέρξης ὁρῶν μεγάλας ἑαυτῷ παρεσχημένον χρείας ἐν τῷ πρὸς Αἰγυπτίους πολέμῳ Μέντορα τὸν στρατηγὸν προῆγεν αὐτὸν μάλιστα τῶν φίλων. (16.52.1).

(40) Homer, The Odyssey 4.229-232:

.... Αἰγυπτίη, τῇ πλεῖστα φέρει ζείδωρος ἄρουρα φάρμακα, πολλὰ μὲν ἐσθλὰ μεμιγμένα, πολλὰ δὲ λυγρά, ἰητρὸς δὲ ἕκαστος ἐπιστάμενος περὶ πάντων ἀνθρώπων·

(٤١) عن محتوى وتفاصيل هذه البرديات الطبية المصرية أُنظر: حسن كمال (١٩٩٨/ الطبعة الثالثة)، الطب المصري القديم، في سلسلة الألف كتاب الثانية (رقم ٣٠٠)، الصادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة.

(42) Herodotus II.84:

Ἡ δὲ ἰητρικὴ κατὰ τάδε σφι δέδασται· μιῆς νούσου ἕκαστος ἰητρός ἐστι καὶ οὐ πλεόνων. Πάντα δ' ἰητρῶν ἐστι πλέα· οἱ μὲν γὰρ ὀφθαλμῶν ἰητροὶ κατεστᾶσι, οἱ δὲ κεφαλῆς, οἱ δὲ ὀδόντων, οἱ δὲ τῶν κατὰ νηδύν, οἱ δὲ τῶν ἀφανέων νούσων.

(43) Ibid. 86-88.

٤٤() محمد السيد عبدالغني (٢٠١٣)، "أهرامات الجيزة في المصادر الكلاسيكية"، منشور في الكتاب التذكاري لتكريم أ.د. السيد فليفل بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة،

ص ص١٥-٣٣.

(45) Herodotus II.124-129.

(46) Plato, Phaedrus 274C-D:

.... αὐτῷ δὲ ὄνομα τῷ δαίμονι εἶναι Θεύθ.τοῦτον δὴ πρῶτον ἀριθμόν τε καὶ λογισμὸν εὑρεῖν καὶ γεωμετρίαν καὶ ἀστρονομίαν, ἔτι δὲ πεττείας τε καὶ κυβείας, καὶ δὴ καὶ γράμματα.

(47) Aristotle, Metaphysica 981b, ll.24-25:

διὸ περὶ Αἴγυπτον αἱ μαθηματικαὶ πρῶτον τέχναι συνέστησαν, ...

(48) Aristotle, De Caelo 292a, ll8-10:

.... λέγουσιν οἱ πάλαι τετηρηκότες ἐκ πλείστων ἐτῶν Αἰγύπτιοι καὶ Βαβυλώνιοι, παρ' ὧν πολλὰς πίστεις ἔχομεν περὶ ἑκάστου τῶν ἄστρων.

(49) Diodorus Siculus, 1.50.1:

.... καὶ παρ' ἑαυτοῖς (sc. Αἰγύπτιοις) πρώτοις φιλοσοφίαν τε εὑρῆσθαι καὶ τὴν ἐπ' ἀκριβὲς ἀστρολογίαν.

(50) Herodotus II.124:

.... μετὰ δὲ ἐργάζεσθαι ἑωυτῷ κελεύειν πάντας Αἰγυπτίους. Τοῖσι μὲν δὴ ἀποδεδέχθαι ἐκ τῶν λιθοτομιέων τῶν ἐν τῷ Ἀραβίῳ ὄρεϊ, ἐκ τουτέων ἕλκειν λίθους μέχρι τοῦ Νείλου· .... Χρόνον δὲ ἐγγενέσθαι τριβομένῳ τῷ λεῷ δέκα ἔτεα μὲν τῆς ὁδοῦ κατ' ἣν εἷλκον τοὺς λίθους, τὴν ἔδειμαν ἔργον ἐὸν οὐ πολλῷ τεῳ ἔλασσον τῆς πυραμίδος, ...

ثم أجبر (الملك خوفو) جميع المصريين على العمل من أجله. فقد أسند إلى البعض منهم جر (سحب) الأحجار من المحاجر الواقعة في جبال (الصحراء) العربية (صحراء مصر الشرقية) إلى النيل .... إلخ. وقد ظل الشعب على مدى عشر سنوات منهكًا في تشييد الطريق الذي كانت تسحب منه الأحجار، ولكن تلك المهمة كانت أهون قليلًا من بناء الهرم ..

(51) Aristotle, Politica 1313b., ll.21-25:

πάντα γὰρ ταῦτα δύναται ταὐτόν, ἀσχολίαν καὶ πενίαν τῶν ἀρχομένων

(52) Aristotle, Ethica Eudemia, 1235b., ll.1-2:

ὅταν ἀποθάνῃ· ἄχρηστος γὰρ ὁ νεκρός. οἷς δὲ χρήσιμον, φυλάττουσιν, ὥσπερ ἐν Αἰγύπτῳ. – ταῦτα δὴ πάντα δοκεῖ μὲν ὑπεναντία ἀλλήλοις εἶναι.

(53) Plato, Laws 747A-C:

εἰ δὲ μή, τὴν καλουμένην ἄν τις πανουργίαν ἀντὶ σοφίας ἀπεργασάμενος λάθοι, καθάπερ γένη νῦν ἔστιν ἰδεῖν ὑπὸ τῆς τῶν ἄλλων ἐπιτηδευμάτων καὶ κτημάτων ἀνελευθερίας.

(54) Plato, Timaeus, 23D-E:

.... ἣ τήν τε ὑμετέραν καὶ τήνδε ἔλαχεν καὶ ἔθρεψεν καὶ ἐπαίδευσεν, προτέραν μὲν τὴν παρ' ὑμῖν ἔτεσιν χιλίοις, ἐκ Γῆς τε καὶ Ἡφαίστου τὸ σπέρμα παραλαβοῦσα ὑμῶν, τήνδε δὲ ὑστέραν. τῆς δὲ ἐνθάδε διακοσμήσεως παρ' ἡμῖν ἐν τοῖς ἱεροῖς γράμμασιν ὀκτακισχιλίων ἐτῶν ἀριθμὸς γέγραπται. περὶ δὴ τῶν ἐνακισχίλια γεγονότων ἔτη πολιτῶν σοι δηλώσω ....

يورد أفلاطون هذا القول في محاورة تيمايوس على لسان أحد كبار الكهنة المصريين المتبحرين في العلم في حديثه إلى الحكيم الأثيني سولون عند زيارته لمصر، ويدور الحديث هنا عن الربة أثينة (نيث عند المصريين)!

(٥٥) للمزيد من التفاصيل عن المبالغات الدعائية عن الريادة المزعومة لأثينا في العالم اليوناني، أُنظر: محمد السيد عبدالغني (٢٠٠٢)، "الريادة المبكرة لأثينا بين الحقيقة والأسطورة" في مجلة كلية الآداب–جامعة القاهرة–المجلد ٦٢ العدد ٣ يوليو ٢٠٠٢، ص ص١٣٩–١٦٢.

–وعن المزيد من التفاصيل عن مبالغات أفلاطون –تحديدًا– في تمجيد أثينا أُنظر كذلك: محمد السيد عبدالغني (٢٠٢٢)، "المبالغات الدعائية في تمجيد أثينا عند أفلاطون (دراسة تاريخية نصية)"، في مجلة كلية الآداب–جامعة الإسكندرية– المجلد ٧٢ العدد ١٠٨ (أبريل ٢٠٢٢) ص ص١–١١.

(56) Plato, Law 656E-657A:

σκοπῶν δὲ εὑρήσεις αὐτόθι τὰ μυριοστὸν ἔτος γεγραμμένα ἢ τετυπωμένα – ούχ ὡς ἔπος είπεῖν μυριοστὸν ἀλλ' ὄντως – τῶν νῦν δεδημιουργημένων οὔτε τι καλλίονα οὔτ' αἰσχίω.

(57) Aristotle, Metaphysica, 981b, ll.13-25:

διὸ περὶ Αἴγυπτον αἱ μαθηματικαὶ πρῶτον τέχναι συνέστησαν, ἐκεῖ γὰρ ἀφείθη σχολάζειν τὸ τῶν ἱερέων ἔθνος.